وَساطات الخلاص
في ضوء الكتاب المقدّس

الأب لاسلو صابو اليسوعيّ *

وَفقًا للعهد القديم، بل والجديد، ثمّة قطبان يتجاذبان باستمرار ما يتجلّى في الكتاب المقدّس من خبرة. إذ لا يسع الإنسان أن يدرك الشموليّة، إلّا من خلال الخصوصيّة. وهذا ما تُنبّهنا إليه جملةٌ وثائق مهمّة ظهرت مؤخّرًا، منها، على سبيل المثال، رسالة رعويّة وجّهها بطريرك اللّاتين ميشال صبّاح، بعنوان: «قراءة الكتاب المقدّس وعيشه في بلاد الكتاب المقدّس اليوم» (١٩٩٣). وكذلك المحاضرة التي ألقاها الكارديتال لوستيجه M. Lustiger - J. العامَ ١٩٩٥ في جامعة تل أبيب. فقد كانت علاقة المفرد بالشامل القائمة في الكتاب المقدّس موضوع نقاش، وهذا يبيّن السبب الذي حدانا إلى اختيار عنوان وساطات الخلاص لهذا العرض، وساطات تقوم انطلاقًا من الخاصّ إلى المطلق.

لكنّ المفارقة، في هذا المضمار، هي أنّ العهد القديم، إذ قام وسطاء عديدون منذ إبراهيم، لا يتضمّن في نصوصه عبارةً عبريّة صريحة تقابل عبارة «وسيط» (باليونانيّة مسيتس)، بل هو «المختار» مَن يقوم بمهمّة الوسيط. أمّا تدبير الخلاص، فهو يتواصل من طريق وساطة أقلّيّات مختارة – شعب صغير، وبقيّة أمينة، أو حتّى شخص واحد يضمّ في ذاته

(*) Laszlo Szabo – أستاذ الكتاب المقدّس في جامعة القدّيس يوسف (بيروت)، وجامعة الروح القدس (الكسليك)، ومعهد القدّيس بولس (حريصا).

الجميع. فتلك الأقلّيات تحمل، بتدبير إلٰهيّ، منفعةً تتعدّاها لتعمّ جميع الناس. وما رتبة البِكُوريم في الطقس إلّا تعبيرٌ عن هذا الواقع، لأنّ تكريس بواكير الثمار للربّ يقدّس المحصولَ كلّه.

ومن ثمّ لا يتضمّن الاختيار، بمفهومه الكتابيّ، المعنى الذي تضفيه عليه عفويًّا حضارتنا. ففي الكتاب المقدّس، لا يمثّل الاختيار قطبًا معاديًا يقصي الآخرين. لا ريب أنّ للطرف المختار مهامًّا يؤدّيها في تاريخ الخلاص، غير أنّه لا يقوم من أجل نفسه، بل لديه رسالة يؤدّيها، وعليه مسؤوليّات تجاه جماعة الناس. فإسرائيل القديم قد اختير «ولدًا بكرًا» لكي ينقل بركة إبراهيم إلى الأمم كافّة (راجع: تكوين ١٢/٣). وفي نظر المسيحيّين، ما زال هذا «الولد البكر» مختارًا على الدوام، لأنّ «لا رجعة في هبات الله» (رومة ١١/٢٩). غير أنّه، بعد اليوم، يشارك في اختياره هذا، جميعُ شعب الله الجديد.

من جهة أخرى، لا تؤدّي رسالةُ المختار، على مستوى العهد القديم نفسه، إلى سقوطٍ لا رحمة فيه للذين، على ما يبدو، قد تُركوا جانبًا. وذلك يتّضح، مثلًا من التفكير في مصير الأخوَين إسحاق وإسماعيل: «وأمّا إسماعيل فقد سمعتُ قولَك فيه. وهاءَنذا أباركه وأنمّيه وأكثّره جدًّا جدًّا» (تكوين ١٧/٢٠). فالاختيار، كيفما ظهر، يُرجع إلى الجميع.

بأيّ معنى يتّصل كلّ ذلك بتعدّد الدّيانات، وبعلاقاتنا بالدّيانات غير المسيحيّة؟

لكيما نكون أكثر واقعيّة في المجال الكتابيّ، سنعتبر، أوّلًا، «قصّة تعليميّة» ذائعة الصيت، هي قصّة يونان، المختار الذي أبى الوساطة. فانطلاقًا منها، ستتمكّن من بلوغ بعض النتائج المهمّة والإيجابيّة في العهد القديم، وبوجه خاصّ في العهد الجديد.

سفر يونان

يرسم هذا السفر الصغير، الذي يكاد عددُ صفحاته لا يتجاوز

الاثنتين في الكتاب المقدَّس - طبعة دار المشرق - صورةً لِما يمكن تسميته بِنقيض البَطَل: المختارِ الذي يرفض دور الوساطة حيال الوثنيّين. أمّا السمكة الشهيرة (أو الحوت)، التي تسحر المخيِّلة، فلا تحتلّ سوى آيتَيْن من السفر، الذي يبقى مدلوله، قبل كلّ شيء، لاهوتيًّا. فهو يعلن أنّه لا ينبغي لإسرائيل أن يكون عائقًا بين يهوه والأمم الوثنيَّة.

إنَّ النصّ مبنيّ على التعارض بين الداخل والخارج. فتُمثّل ترشيش ونينوى طرفَي العالم (الخارج)، الذي يؤلّف الهيكلُ وسَطه (الداخل). أمّا يونان، فينطلق من الهيكل، ويرغب في أن يعود إليه (راجع النشيد في الفصل الثاني). ولكن ممّا يؤسف عليه أنّه ما كان عند يونان أيّ ميل إلى أن يذهب ويبشِّر في نينوى، فسلك الاتّجاه المعاكس، مبحرًا نحو ترشيش، وما كان ليكترث بخلاص النينويّين. لذا، لمّا تاب أهل نينوى، في آخر الأمر، أخذ يونان على الله رحمته تجاه أولئك القُلْف:

«فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم... فرأى الله
أعمالهم وأنّهم رجعوا عن طريقهم الشرّير. فندم الله
على الشرّ الذي قال إنّه يصنعُه بهم، ولم يصنَعْه. فساء
الأمرُ يونانَ مساءة شديدة وغَضِب. وصلّى (صلاة
احتجاج) إلى الربّ...» (يونان ٣/ ٥ - ٤/ ٢ وما يتبع).

لكي نفهم قصر نظر يونان، علينا أن نطرح أسئلة حول أوضاع اليهود وأهل نينوى في القرن الخامس ق.م.، أي الزمن الذي دُوِّن فيه «المَثَل» الذي نحن بصدده. فعقب النفي، باتت مملكة يهوذا إقليمًا صغيرًا جدًّا في الأمبراطوريّة الفارسيّة، ما انفكّ السامريّون يسبِّبون له المضايقات. وانطوت جماعة المؤمنين على نفسها، وتحوّلت إلى جماعة وطنيّة متزمّتة دينيًّا، يقودها رجال الدين. ومن الوجهة اللاهوتيَّة، استأثر المختارون الذين يعيشون في أمان لا يخلو من اضطراب، ببركة إبراهيم لمنفعتهم وحدهم. وما عاد الاختيار خدمةً تُسدى إلى الآخرين، بل امتيازٌ يحافظون عليه بغيرة شديدة. لهذا السبب بدا حَمل كلمة الله إلى نينوى، أي إلى

الأمم الوثنيّة، مخالفًا المفاهيم السائدة حينذاك. فالعائق، كما هو الحال غالبًا، ليس دينيًّا فحسب، بل ثقافيّ وسياسيّ أيضًا.

ماذا كانت نينوى تمثّل، فعلًا، في نظر يونان؟ لقد مثّلت، إلى حدّ ما، ما يمثّله اليوم، في نظر اليهود، الرايخ الثالث الهتلريّ... بيد أنّه ترتّب على يونان أن يحمل إلى نينوى، المدينة التي صارت رمزًا، رسالة المغفرة. لذا تراه يلوم الله لأنّه خلّص المدينة الوثنيّة، في آخر الأمر، ورحمها.

الدرس الأوّل الذي نستخلصه من هذا الكتاب المدهش، هو أنّ إدانة الأمم ليست نهائيّة لا رجعة فيها. على خلاف ذلك، تبلغ التهديداتُ الإلٰهيّة، أو التبرّأ بالشرّ، غايتَها، عندما لا يعود هنالك من حاجة إلى تحقيقها. وفي ذلك جواب على نفاد صبر المؤمنين إزاء عدم تمام الأقوال النبويّة التي تستهدف الوثنيّين. بيد أنّ تلك الرسالة ليست بالضرورة دعوةً صريحة إلى التبشير بالدين اليهوديّ. مهما يكن من أمر، فإن كان قد اكتُفي في السفر بالقول إنّ النينويّين «رجعوا عن طريقهم الشرّير» (يونان ٣/ ١٠)، فذلك للدلالة على أنّ تخلّيهم عن عبادة الأوثان لا يدخل في قصد الكاتب، بل يُؤخذ على الوثنيّين مخالفتهم الناموس الأدبيّ، الذي طبعه الله في قلب كلّ إنسان (راجع: عاموس ١ و٢). وفي الواقع، مضى وقت طويل قبل أن يكشف مفسّرو الكتاب المقدّس أنّ شخص يونان ما مثّل البتّة رسول التوحيد أو المسيحيّة، وأنّه ما كان مكلّفًا بتحويل مستمعيه إلى الدين اليهوديّ.

مع ذلك، لا نسرعنّ في استخلاص النتائج! فتفوُّق الشعب الصغير، الباقيّ من إسرائيل القديم، دينيًّا، هو، في نظر الكاتب، حقيقة لا بدّ منها. وما الرسالة التي ينسبها إلى يونان إلّا دلالة على أنّ الشعب المختار، في نظره، يحمل حقيقة ينبغي أن تشعّ، في يوم من الأيّام، على العالم كلّه. بيد أنّه، في إقدامه على وضع شهادة المؤمنين في خدمة الوثنيّين، قد جرّد أبناء إبراهيم من كلّ ذريعة للتكبّر والاستئثار بالخلاص.

وقد يَحْسن أن نذكّر، في هذا الشأن، بالقول النبويّ الشهير الوارد في سفر ملاخي «... وفي كلّ مكان تُحرق وتُقرّب لاسمي تقدمةٌ طاهرة...» (ملاخي ١/ ١١). ذلك بأنّ شموليّة يونان البعيدة عن المركزيّة هي من النوع نفسه، وتقع في الإطار التاريخيّ عينه، إذ بلغت خصوصيّة ما بعد النفي ذروتها. في سفر يونان، يقدّم بحّارة ترشيش تقدمةً على متن سفينتهم نفسها، دونما اضطرار إلى التوجّه نحو أورشليم. كذلك، يمكن أن يكون المرء، في الوقت نفسه، مواطنًا في نينوى وعابدًا لله الحقّ، من غير أن يخضع بالضرورة للختان.

إنّ الدين هنا قد اقتُصر على ما هو أساسيّ: الإيمانِ بإلٰه رؤوف ورحيم، يمقت الخطيئة، ويريد خلاص الناس جميعًا (راجع: يونان ٤/ ٢). ولقد تجلّى فنّ الكاتب الملهم في جعله هذه الكلمات الصادقة على لسان النبيّ موضع النقد. أمّا يونان، فيؤدّي على غير علم منه، أو كرْهًا، شهادةً لرسالة تتجاوزه. ومن جهة أخرى، يصحّ القول إنّ المختار، الذي يضع نفسه على مستوى سائر الذين يبحثون عن الله، قد لا يعود لديه ما يبلّغه العالمَ. وفي الواقع، لا يتردّد يونان في أن يعلن أمام الوثنيّين: «أنا عبرانيّ، وإنّي أتّقي الربّ، إلٰه السموات، الذي صنع البحر واليبس» (يونان ١/ ٩). فإعلان الإيمان والحوار بين الأديان لا يتعارضان، بل تكمن في ذلك بالضبط سمة الخصوصيّة التي تجعل الوساطة ممكنة عن طريق انفتاحها على الشموليّة.

وَساطات الخلاص في العهد القديم

لا تؤلّف عِبرةُ كتيّب يونان، بأيّ حال من الأحوال، حالةً شاذّة في كتب العهد القديم. فالفصول الأحد عشر، التي تقع في مطلع الكتاب المقدّس، تروي، بأسلوب رمزيّ، تاريخ الإنسانيّة قبل أن يكون إبراهيم. يتّصل الموضوع، إذًا، «بأناس» (آدم)، بصرف النظر عن إسرائيل القديم. فتُبان من ذلك حقيقة جليّة هي أنّ إبراهيم لم يولَد يهوديًّا، وأنّ إسرائيل هو، قبل كلّ شيء، ابنُ آدم. غير أنّها حقيقة مذهلة، لا سيّما وأنّ

الأبحاث الخاصّة بالعروق البشريّة (راجع: Lévi - Strauss, *La pensée sauvage*, 1962) تظهر لنا أنّ الشعوب البدائيّة كانت تسمّي نفسها باسم يعني «إنسانًا»، وتنكر على الغرباء تلك التسمية. على نقيض ذلك، فالمفروض في المختار، تَبعًا للكتاب المقدّس، أن يعرف أنّه ليس فريدًا، وأنّ اختياره نفسَه يضعه في علاقة بالشموليّة: «يتبارَكُ بك جميعُ عشائر الأرض» (تكوين ١٢/٣). إنطلاقًا من ذلك، يلفت البطريرك صبّاح النظرَ إلى أنّ علماء الشريعة قد لحظوا وجود عهود متعدّدة: عهد نوح (الذي يشمل الشعوب جميعًا)، وعهد إبراهيم (الموجّه إلى المؤمنين كافّة)، وعهد موسى (الذي قام مع العبرانيّين). وفي الواقع، ثمّة «عهد» وحيد يقوم بين الله والبشريّة جمعاء، ولو أنّه قد عُبِّر عنه في حقبات مختلفة من تاريخ الخلاص، وبأشكال متعدّدة (راجع: عبرانيّين ١/١-٢). بلغتنا المعاصرة، يمكننا الكلام على وساطات جدليّة بين أشكال العهد المتعدّدة، إذ يبقى المختارون دومًا متضامنين مع جماعة الناس، وعليهم أن يتحمّلوا مسؤوليّتها.

بالعودة إلى شخص إبراهيم، يعبِّر عملُ الكاتب اليهويّ الملهم عن الفكر اللاهوتيّ في الماضي. ولا شكّ في أنّه قد تمّ تدوين جزء من ذلك التقليد، هو الأقدم في التوراة، إبّان القسم الثاني من مُلك سليمان، وهو زمن تمّت فيه المصالحة بين إسرائيل القديم ومصر الفراعنة. وعندما بدأ الزائرون القادمون من المحيط يقصدون أورشليم بكثرة، ترتّب على أنبياء المملكة أن يجيبوا عن أسئلة من هذا النوع: إن كان يهوه الإله الوحيد، كيف يُفسَّر أن يعبده شعب صغير جدًّا، في حين أنّ أمبراطوريّات شاسعة تجهله، مثل مصر وآشور وبابل... أمّا الجواب عن هذه التساؤلات، فأتى في رواية الخلق التي دُوِّنت تحديدًا في ذلك الزمن. بالتالي، سدّ الكاتب اليهويّ فراغًا فَصَلَ بين تاريخ إسرائيل وتاريخ الأمم الأخرى؛ الأوّل تاريخ إبراهيم والثاني تاريخ آدم.

فضلًا عن ذلك، فإنّ ما شَغَلَ فكر الكاتب اليهويّ هو مسؤوليّة إسرائيل القديم حيال الشعوب التي تحيط به، وفي طليعتها الموآبيّون

والآمونيّون (الذين اعتُبروا «أبناء لوط»): فكيف يمكن هذه الشعوب أن تحصل على بركة الله بواسطة إبراهيم؟ أمّا الكاتب اليهويّ فينبّهنا، على طريقته، إلى أنّ للاختيار بُعدَ شهادة وشفاعة ووساطة.

إذا ما عدنا إلى قراءة رواية «مساومة الرحمة» (تكوين ١٨/١٦-٣٣)، نرى أنّ وساطة إبراهيم تُترجم بصلاة تشفّع. في تلك الصلاة، لا تُعتبر سدوم مدينة وثنيّة، مدينة قد تكون معارضة لشعب العهد، أو مفصولة عن الأرض التي باركها يهوه. على خلاف ذلك، تبدو سدوم، في نظر الكاتب اليهويّ، نموذجًا لجماعة إنسانيّة ينظر يهوه إليها لكي يحكم في أمرها ويخلّصها. زد على ذلك، أنّ صلاة إبراهيم لا ترمي إلى إنقاذ قريبٍ (لوط)، يُريد إبراهيم أن يؤمّن حمايته فحسب، بل إنقاذ سدوم بأكملها. فالشفاعة، في آخر المطاف، لا تقصد خلاص الأبرار بقدر ما تقصد رسالة هؤلاء من أجل خلاص الآخرين جميعًا. ولو أنّ إبراهيم بلغ حدّ البارّ الواحد، لكان أدرك نبوّة العبد المتألّم الشهيرة (راجع: أشعيا ٥٣)، التي تعلن عن البارّ الوحيد الذي يبذل حياته من أجل خلاص جماعة الناس.

بحسب كولمان O. Cullmann، يتابع تاريخُ الخلاص «حركة مزدوجة وفقًا لمبدأ الاختيار والإبدال». فتبعًا لتلك النظرة، يمكننا أن نلحظ أوّلًا تخفيضًا تدريجيًّا في «عدد حاملي الخلاص»: أولاد آدم، ثمّ الشعب المختار، وبعده الباقي من إسرائيل، ليتهي الأمر، أخيرًا، إلى المسيح، ممثّل البشريّة الوحيد، المختار الذي يبذل حياته في سبيل جماعة الناس. وبعد أن بلغ تاريخ الخلاص هذه القمّة، يعود ليتبع حركة معاكسة، أيّ من الواحد إلى الجميع: الشهود الأوائل، والكنيسة في يوم العنصرة، والجماعات في وسط الوثنيّين. فالبشريّة بأجمعها في الطريق إلى اكتشاف دعوتها الحقيقيّة. إنّه تاريخُ خلاصٍ يواصل تقدّمه بواسطة جدليّة الوساطات.

الوساطة في العهد الجديد

إنّ ما نسمّيه «العهد الجديد»، يتمّم العهود القديمة، ويبلغ بها أوجها، بفضل تضامن المسيح مع البشريّة جمعاء. ففي المسيح، نعترف أخيرًا بـ«الشامل الواقعيّ»، على حدّ تعبيرٍ شهير أطلقه نيقولا دي كوز Nicolas de Cuse. إنّ وساطة الخلاص، في العهد الجديد، تتّخذ شكلًا حاسمًا بشخص المسيح الذي يرى فيه بولس نسلَ إبراهيم الأمثل (غلاطية ٣/١٦)، وحتّى آدم الجديد (رومة ٥/١٢-٢١؛ راجع: ١ قورنتس ١٥). بالتالي، ما عادت دعوةُ الله إيّانا تصلنا عن طريق شعب مختار وحيد، بل بواسطة المسيح. فبالمسيح كلّ إنسان مختارٌ مدعوٌّ إلى حياة المشاركة مع الله ومع سائر الناس.

بيد أنّ هنالك سؤالَين محيّرين يُطرحان في هذا الموضع. ما دام يسوع الوسيط الوحيد بين الله والبشر، لِمَ تراه، إبّان حياته الأرضيّة، لَمْ يستعجل اهتداء الوثنيّين؟ بل على خلاف ذلك، أوصى تلاميذه قائلًا: «لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيّين ولا تدخلوا مدينةً للسامريّين» (متّى ١٠/٥-٦). في نظري، ما أراد يسوع أن يقيّد بُشرى الإنجيل بالدعوة إلى الدين اليهوديّ؛ ذلك بأنّ تلاميذه لم يكونوا بعدُ حينذاك مسيحيّين حقيقيّين. لذا ما كانوا ليحوّلوا الوثنيّين إلّا إلى يهود جدد، إلى أعضاء في جماعتهم الدينيّة، لا بل الاجتماعيّة السياسيّة. وهذه مسألة يجب التفكير فيها اليوم أيضًا. على أيّ حال، لم يكن أمر التبشير الشامل ليُعطى (متّى ٢٨/١٨-٢٠) إلّا عقب الذبيحة الخلاصيّة، وما كان ليُنفَّذ قبل يوم العنصرة. فموهبة الروح القدس تؤسّس الجماعة الجديدة، جماعة المسيح المشيحيّة، التي ستكون رسوليّة بفضل «فيض» الروح فيها. فالمسيح يتجاوز الحدود الدينيّة، ويبلغ سائر الأمم ويقودها إلى الآب. ونحن إنّما نفقه خلاص الأمم، وخلاص مشتّتي إسرائيل، في ديناميّة الثالوث هذه. ففي الفسحة الثالوثيّة، هنالك مكان لكلّ طريق يُعترف به بحسب علاقته الخاصّة بالروح.

إن كانت ساعة الوثنيّين لم تأتِ إبّان الزمن الذي سبق الفصح، فيسوع وعد كلّ إنسان بأنّه سيشارك مشاركة كاملة في الوليمة المشيحيّة التي ستجمع اليهود والوثنيّين معًا، فهم أعضاء متساوون في الملكوت الجديد. لذا ترى يسوع يوجّه دعوة خلاص إلى أولئك الذين في الخارج، مثلما قمل يونان تجاه شعب نينوى. بل وأكثر من ذلك، ففي يوم الدينونة، سيحكم النينويّون، الذين تابوا بإنذار يونان، على شعب الداخل:

«رجال نينوى يقومون يوم الدينونة مع هذا الجيل
ويحكمون عليه، لأنّهم تابوا بإنذار يونان، وههنا أعظم
من يونان» (متّى ١٢/ ٤١).

إنّ مثل هذه النظرة كانت لتُناقِض توقُّعَ اليهود أيّ تناقض: أكان يمكن اليهودَ أن يتخيّلوا أنّ الوثنيّين سيحاكمونهم؟ ولكن نرى هنا أنّ مَن هم في الخارج يحكمون على مَن في الداخل. وقد يجوز أن نبلغ باستنتاجنا حدّ القول إنّه يمكن الذين هم في الخارج أن يصبحوا وسطاء رحمة الله، وسطاء خلاص للذين هم في الداخل!

إضافة إلى ذلك، يتوسّع إنجيل متّى في وجهة نظر مكمّلة، نشأت من كرازة ما بعد زمن الفصح. وبالتالي هي تعرض قراءة كتاب يونان قراءةً مسيحيّة: سيبقى ابن الإنسان ثلاثة أيّام وثلاث ليال في جوف الأرض، كما بقي يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليال. وقد استعاد الأدب والفنّ المسيحيّين بكثرة هذا الموضوع، موضوع «النزول إلى الجحيم». بالطبع، لا تفترض صحّةُ المقارنة تاريخيّةَ مغامرة يونان. فما هو صحيح لا ريب فيه، هو أنّ الانفتاح على الوثنيّين يأتي ثمرة عبور المسيح من الموت إلى الحياة الجديدة، إلى سرّه الفصحيّ.

لا يسعنا أن نتناول هنا كلّ مقاطع الإنجيل المعبِّرة في هذا الشأن، وما أكثرها، بل نتوقّف أخيرًا، على وصف الدينونة العظمى، كما ترد في (متّى ٢٥/ ٣١-٤٦). أتى في ذلك النصّ: «كلّما صنعتم شيئًا من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه». أمّا المفسّرون الذين

كانوا قِصَار النظر مدّةً طويلة، فقد ظنّوا أنّ صغار إخوة يسوع هؤلاء، إنّما هم التلاميذ فحسب، أو أعضاء الجماعة المسيحيّة. بيد أنّ النصّ يبيّن دينونة جميع الأمم (باليونانيّة: پَنْتَا تَا إِثْنِه). وبناءً عليه، يجب أن تُفهم خدمة المهمّشين أيضًا على مستوى البشر جميعًا، دونما استثناء. وثمّة ما يتعدّى ذلك، فالمؤمنون والوثنيّون معًا، يُحكم عليهم بحسب نوعيّة محبّتهم وأعمالهم. وما ذلك إلّا تنبيه لنا يُطلقه يسوع، إلى أنّ الدينونة ليست فصلًا بين يهوديّ وغير يهوديّ، أو بين مسيحيّ وغير مسيحيّ. فسبيل الأبرار (الصِّراط المستقيم) لا يقوم على صعيدٍ دينيّ، بل على صعيدٍ إلٰهيّ وأخلاقيّ إلى حدّ كبير. لذلك فالوسطاء الحقيقيّون هم الصغار والفقراء أنفسهم، الذين يتماثلهم المسيح، الوسيط الشامل، صراحةً في النصّ موضوع حديثنا.

ما يمكن أن يكون، إذًا، دور المسيحيّ وسْطَ عدد كبير من غير المسيحيّين أو غير المؤمنين؟ في مجتمع علمانيّ، أو متعدّد الديانات، مثل مجتمعنا، غالبًا ما تبقى محبّة المسيح وخدمة الإخوة مُضمَرتين غير مُدرَكتين: «يا ربّ، متى رأيناك جائعًا أو عطشان؟». في مثل هذا الواقع بالضبط يتحمّل المسيحيّ، الذي يعيش إيمانه صراحةً، مسؤوليّة جسيمة إزاء هذا العالم التعدّديّ. فالمسيحيّ موجود «سِرَّ خلاص»، علامةً لتلك المحبّة المجّانيّة التي بها يحبّ المسيحُ المخلّص جميعَ الناس، أي إخوته، ما داموا كلّهم أعضاء في العائلة البشريّة. بالتالي، تتّخذ شبكة العلاقات البشريّة، ونوعيّة تلك العلاقات، قيمةً دينيّةً جوهريّة: في ذلك تقوم أو لا تقوم وَساطة الخلاص.

(نقلها عن الفرنسيّة: صلاح أبو جودة اليسوعيّ)